The crisis of Arab philosophical thought and its repercussions on reality

Dr. Hamed Ibrahim*
Rasha Ibrahim Zamlout**

(Received 14 / 6 / 2022. Accepted 14 / 8 / 2022)

□ ABSTRACT □

The crisis of Arab philosophical thought today is due to a group of reasons that made its features appear within a picture characterized by ambiguity in its orientations. Topics that directly affect the reality and increase the effectiveness of the intellectual project. Therefore, this article aims to clarify some of the features of that crisis and its causes, and to show that Arab thought today must have a strong movement that transcends the setback it is going through and restores the intellectual compass to what it was according to a clear and well-defined approach.

Key Words: Crisis. Arab thought**.** The Arab mind. Intellectual freedom. Awareness.

* **Professor - Department of Philosophy - Faculty of Arts - Tishreen University - Lattakia - Syria.**
** **Master's Student - Department of Philosophy - Faculty of Arts - Tishreen University - Lattakia - Syria.**

أزمة الفكر الفلسفي العربي وانعكاساتها على الواقع

د. حامد إبراهيم*

رشا ابراهيم زملوط**

(تاريخ الإيداع 14 / 6 / 2022. قبل للنشر في 14 / 8 / 2022)

□ ملخّص □

تعود أزمة الفكر الفلسفي العربي اليوم إلى مجموعة من الأسباب التي جعلت ملامِحه ترتَسِم ضمن صورةٍ تتّسم بالغموض في توجّهاته، فتارةً نجده أسير الحضارة العربية الماضية التي مثّلت أوج ازدهار الفكر والفلسفة العربية، وتارةً يحاول اللحاق بما آل إليه الفكر العالمي المعاصر، وما يتم طرحه من موضوعات تؤثر وبشكل مباشر في الواقع وتزيد من فعاليّة المشروع الفكري. لذلك فإن هذا المقال يهدف إلى توضيح بعض ملامح تلك الأَزمة، وتبيان أنه لا بدّ للفكر العربي اليوم من حركة قويّة تتخطّى الانتكاسة التي يمرّ بها وتستعيد البوصلة الفكرية إلى ما كانت عليه وفق منهج واضح محدد المعالم.

الكلمات المفتاحية: الأزمة، الفكر العربي، العقل العربي، الوعي، الحرية الفكرية.

* **استاذ – قسم الفلسفة_ كلية الآداب_ جامعة تشرين–اللاذقية –سورية.**

** **طالبة ماجستير – قسم الفلسفة_ كلية الآداب_ جامعة تشرين–اللاذقية –سورية.**

مقدمة:

يعاني اليوم الفكر الفلسفي في المجتمعات العربية اليوم من أزَمة على مستوى الإنتاج الفكري والحضور الثابت والصلب البنية مقابل ما آل إليه الفكر العالمي من تطورات متسارعة في النظم المعرفية، والإنتاجات الفكرية، وإيماناً منّا بقدرة الفكر على إحداث تغييرات؛ من خلال ما يتم طرحه من مواضيع تخصّ واقعه الاجتماعي والسياسي والثقافي، وما يثيره من تساؤلات ومحاولة الإجابة عنها بما يعكس الوجه الحضاري لأمة من الأمم من جهة ومواكبة النظم الفكرية المعاصرة من جهة أخرى، يسعى هذا البحث إلى محاولة الإحاطة بمظاهر وتجليات أزمة الفكر الفلسفي، وذلك من أجل العمل على تجاوزها.

وتُعدُّ الأزمات جزءاً أساسيّاً من نسيج الحياة، وحقيقة من حقائقها لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، فقد ارتبط وجود الأزمات بوجود الإنسان على الأرض منذ بدء الخليقة. وقد كان أول نشوء لمفهوم الأزمة في الطب الإغريقي للدلالة على حدوث تغير جوهري ومفاجئ في جسم الإنسان، وهي تعود إلى المصطلح اليوناني الذي حدّده (كرينو) بمعنى "نقطة تحول" في حياة المريض إلى الأسوأ، أو الأحسن خلال فترة محددة.

أمّا في المجال الفكري والفلسفي نجد أنَّ مفهوم الأزمة يعبّر عن نوعٍ من الضغط الذي يؤثر بشكل سلبيّ في قدرة الفرد على التفكير، وبالتالي قدرته على الإنتاجات الفكرية الخلّاقة، كما تؤثر وبشكل مباشر في قدرة العقل على التخطيط لمواجهة الضغط الحاصل واستيعاب مجريات الأحداث، وهذا ما يؤدي إلى فرز أزَمة على مستوى الفكر الفلسفيّ العربيّ في عصرنا الراهن تتمثل في أحدِ جوانبِها بعدم اتّصافه بالقدرة على الموازنة بين الطابع العربيّ الأصيل لمضمون طروحاته الفكرية التي يقدمها من جهة، وبين وجوب اتّصاف تلك الأخيرة بشيءٍ من المعاصرة تتناسب والقرن الحالي من جهةٍ أخرى، فيظهر الفكر متأرجحاً، وكأنّه عند مفترق طرق غير قادر على الاختيار مع عدم قدرته على تحديد أهدافه، وذلك بسبب العديد من الأسباب التي سيأتي البحث على ذكر بعضها في مبحثه الأول، وبموجب تلك المسبّبات قد تشكّلت أزَمة في هذا الفكر، وخلل في خصوصيته، وأصالته من حيث الموضوعات المطروحة والتي جعلت القارئ لهذا الفكر غير قادر على تمييزه، ونسبته لأمة معينة من جهة، وفي قلّة المُخرجات التي تتولد عنه من جهة أخرى.

وبناءً على ذلك سنسعى في بداية هذا البحث إلى تقديم مجموعة من الأسباب التي أدّت لأزمة في الفكر الفلسفي العربي وإنتاجاته، وعرض بعض الملامح التي ترسم الواقع الراهن للفكر الفلسفي العربي المأزوم في المبحث الثاني، ويخلص البحث في محاولة لتقديم عدداً من الحلول المقترحة للنهوض بالفكر العربي المعاصر.

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث بكونه يُضيئ على واقع الفكر الفلسفي العربي المعاصر، باعتبار الفكر من أهم عوامل النهوض بالمجتمعات، وبكون الفكر الفلسفي العربي اليوم يمرّ بأزمة وجدنا أنّ تسليط الضوء على المشكلات التي تعصف اليوم بمفكريّ الوطن العربي، والتي تنعكس بدورها على الإنتاج الفكري والفلسفي العربي، هي إحدى الخطوات لتلافي تلك الأزمة وتجاوزها، حيث أن الانتباه للمشكلة وتأطيرها وفق أسباب وواقع ونتيجة، هو أولى مراحل الخلاص منها وتجاوزها.

أهداف البحث:

1. يهدف البحث إلى الإضاءة على واقع الفكر في المجتمعات العربية وإنتاجاتِه، وما يمرّ به الفكر العربي المعاصر من أزَمة حالت دون بلوغه المستوى التي ارتقت له الحضارة الغربية، والتي اعتُبرت هاجساً حضارياً بين الأمم والشعوب المختلفة.

2. تحديد عدداً من الأسباب التي أدت لأزمة الفكر الفلسفي العربي.

3. استعراض بعض المقترحات التي يجب اتّباعها للحدّ من تدهور هذا الفكر وتراجعه، والنهوض بذلك الفكر، ليتجاوز أزمته، والارتقاء به إلى مصافّ التيارات الفكرية المعاصرة التي تؤثر في المجتمعات بشكل رئيسي.

منهجية البحث:

اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، بكون البحث سيُركز في مبحثه الأول والثاني على عرض وتحليل الأسباب التي أدّت بالفكر الفلسفي العربي المعاصر إلى مرحلة متأزّمة على صعيد الإنتاجات الفكرية، كما سنعمل على عرض ومناقشة بعض مظاهر أزمة الواقع الفكري الفلسفي المعاصر في المجتمعات العربية.

أولاً: أسباب أزمة الفكر الفلسفي العربي

تحوّل الفكر الفلسفي العربي في الآونة الأخيرة من منتجٍ لقضايا تعكس الواقع وتُستمد من ممارسات حيّة في مجتمعاتنا العربية إلى مجرّدِ فكرٍ يُحاكي قضايا إيديولوجية هجينة تمت مناقشتها في مجتمعاتها وضمن بيئاتها، ظنّاً منهم أنّها حقائق يجب استعارتها والبحث فيها كقضايا كليّة شاملة تتجاوز الشروط التاريخية وتصلح لكل مكان، وهو ما جعل الفكر الفلسفي العربي يفقد الصفة الجوهرية التي لطالما تمتّعت بها الفلسفة على مرّ العصور المختلفة في التعبير عن وعي الأمة وخصوصية أفكارها، والمقومات التي تتشكّل من خلالها هويّتها الحضاريّة والفكريّة بطابعها الخاص بين الأمم الأخرى، الأمر الذي اعتبره المفكر السوري الطيب تيزيني ركيزةً أساسيّة في التعبير عن تاريخيّة أمّة من الأمم بكون "**هذا الشرط هو ليس شيئاً آخر غير طبيعة الوعي الذي للأمة بهويتها ووعيها الذي هو أساس منزلتها في التاريخ الكوني و لبّ دورها فيه**"[1]

وبناءً عليه نجد أنّ المجتمعات العربية باعتناقها للفلسفات الكليّة والعموميّة باتت تُنتج فكراً فلسفياً غريباً عن مميزات الهويّة القوميّة الأصيلة والثابتة الجذور، والتي يجب أن تكون مصدراً ثابتاً في إنتاج القيم بشكل أساسيّ؛ الأمر الذي أثّر بشكلٍ مباشر على شخصيّة المفكر العربي الذي "**لم يكتسب شخصيته تحت تأثير عوامل داخلية فقط، أو لنقل بصيغة أخرى، إنه لم يفصح عن نفسه إلا من خلال ضغوط كبرى من الخارج**"[2]

كما تشكّل حالة الانفصال الذي يعيشه فكرنا الفلسفي العربي الراهن بين الواقع والفكر المطروح، وبين الفكر الفلسفي وشروطه التاريخيّة أهم الأسباب التي تؤدي بالفكر الفلسفي إلى مصافّ النظريات الفكرية الطوباوية والأدبية والتي لا تسهم في تسليط الضوء على قضايا الواقع، ولا تأخذ دورها التاريخيّ في تحديث الحضارة وتبيان ماهيتها الحقيقية، بل تزيد من هشاشة الفكر العربي وتجعله فكراً بعيداً عن هموم وقضايا الواقع، كما تجعله فكراً يتسم بالسيولة بتعبير **(باومان)***، فيفقد بذلك المُرتَكَز الفكريّ الصلب الذي يُؤسَّس ويُرتكز عليه، وينطلق منه نحو تجديد الواقع وفق ما يحكمه من شروط تاريخيّة، وإن محاولة تأسيس فكر قائم على مجموعة من القيم المستوردة والنصوص الأعجمية

[1] **المرزوقي، أبو يعرب؛ وتيزيني، الطيب: آفاق فلسفية عربية ومعاصرة، دار الفكر، دمشق، 2001، ص23.**

[2] **تيزيني، الطيب: على طريق الوضوح المنهجي كتابات في الفلسفة والفكر العربي، دار الفارابي، بيروت، 1989، ص19.**

وغريبة الطّالع تماشياً مع الفكر الفلسفي المعاصر؛ إنّما يؤدي إلى انفصال الفكر الفلسفي العربي عن واقعه التاريخي ويتحول إلى فكر متسلّط كما يصفه تيزيني في كتابه "آفاق فلسفية عربية معاصرة" قائلاً: "**يصبح الفكر ذا موقف تسلطي لا يعلم الواقع ليعمل فيه على علم بل يغصب الواقع بما يتصوره واقعاً حقيقياً يطلب استبداله به نافياً المعطى الفعلي ليعوضه بمعطى عقدي دافعه الأساسي المحاكاة والتحديث السطحي**"[3]، ومنها يبدأ بطرح نظريات هجينة، متناسياً ما يتطلّبه واقعه من موضوعات حقيقيّة تسهم في تحقيق تطلّعات الأمة العربية ورسم حضارتها الفكرية بطابع أصيل.

إذاً يُمكننا القول أن الابتعاد عن الفلسفة العربية التي تعيش مرحلة الاحتضار والتي بدأت مع تحريم بعض القضايا الفكرية لفيلسوف قرطبة ابن رشد وحرق مؤلفاته من جهة، وصعود التيارات الإسلاميّة بشكليها المتطرّف والمعتدل، وبأفكارها الرجعية على العقلانيّة الفكرية، والنقدية المنطقية من جهة أخرى، هو من الأسباب الرئيسة في تراجع الفكر الفلسفي العربي في العصر الحديث والمعاصر، وبروز مفاهيم التخلف والاستبداد والتعصب المعرفي والاجتماعي التي تغذيه الأنظمة السياسية الرجعية، أيضاً لا يمكن إغفال ما تتعرّض له مجتمعاتنا العربية من حروب مستمرّة وبأساليب متنوّعة، إضافة للأزمات الاقتصادية الخانقة التي حدّت من التفكير إلّا بمقتضيات الحياة البسيطة، كل ذلك أثّر على الفكر الفلسفي العربي اليوم، وشكّل إحدى أخطر الأزمات التي تعصُف به، وتحاول تدميّر الفكر الحرّ، وتسعى لمزيد من التجزئة والتقسيم والتفكيك، وضياع الهوية الفكرية.

ثانياً: مظاهر تأزم الفكر الفلسفي العربي

بعد التعرف على بعض الأسباب التي أدت إلى واقع فكري متأزّم في المجتمعات العربية، سنحاول الإضاءة على الواقع الراهن للفكر العربي، ليظهر لنا اليوم متّصفاً بعدم القدرة على الإفصاح عن نفسه بكونه نسقاً فكرياً وفلسفياً متميزاً ذو طابع خاص، وكيان مستقل عمّا يتبعه من طروحات خفيّة تحرك توجّه ذلك الفكر الذي بات يرزح في ظل اتّجاهات مختلفة، وضوابط مُقيّدة بين السلطة التي تطمح للاستقلال عن الدّين في كافة الطروحات الفكرية وبين الخطاب الديني الذي اتّخذ من الفكر وسيلةً له في الدفاع عن معتقداته، ونتيجة لكل ذلك التّشتت ما بين أطراف متعددة واتّجاهات متنوعة نجد الفكر الفلسفي العربي وإن أمكنه الإفصاح عن نفسه غالباً ما يكون احتمالياً، مُهمشاً، مُداناً من وجهات مختلفة مُتناقضاً في المواقف؛ إذ لم يستطع تقديم مساهمات حضارية قادرة على تغيير ما آل إليه الفكر العربي اليوم وما تعرض له من نزعات تفكيكيّة حاولت خلخلة، وهدم بنيته الأساسية التي يجب أن تعبّر وبالدرجة الأولى عن واقع الأمة العربيّة وخصوصيّة فِكرها وفق طرح موضوعات تتميّز بالإبداع والابتكار، وتحاكي التطلّعات الفلسفية والفكرية في المجتمعات العربية في محاولة للارتقاء بذلك الفكر نحو المستوى الحضاري المطلوب، وهذا ما يشير إليه الطيب تيزيني في كتابه "آفاق فلسفية عربية معاصرة" عندما تحدّث عن الإنتاج الفلسفي في المجتمعات العربية الإسلامية بقوله:

***(باومان): هو المفكر البولندي زيغمونت باومان، صاحب مشروع الحداثة السائلة، تلك الحداثة إلى تسعى على نقل انسان عصر التنوير من صلابة العقلانية في مراحلها الأولى، إلى سيولة الرشد في الواقع الحالي وبالتالي سيولة مفهوم الإنسان نفسه، بمعنى التعامل مع الواقع كما هو.**

[3]المرزوقي، أبو يعرب؛ وتيزيني، الطيب: آفاق فلسفية عربية ومعاصرة، مرجع سابق، ص20

"تتبين أن الإنتاج الفلسفي العربي الإسلامي، يحيل إلى دلالة مركزية تتمثل في أن ذلك جميعاً لم يظهر على النور ضمن وضعيات سوسيوثقافية ومعرفية منبسطة وغير لاجمة"[4]

كما أن واقع الفكر الفلسفي العربي اليوم يرزح بين ثنائيات تحاول الواحدة منها الاعتلاء على الأخرى من خلال التعامل مع الماضي الذي اتّخذ خطّين متناقضين في طروحات المفكرين العرب، اتّجاه يقدّس الماضي ويسعى للعودة إليه وتبنيه ككتلة جامدة غير محتاجة لأيّ رافد جديد، ويسعى للعمل على تطويرها مكتفياً بذاته مع إبداعات أعلامه ومفكريه، وبالتالي فهو لا يحتاج لأن يكون منفتحاً على التطورات التاريخية والتحديثات الراهنة، كما يقول جيلالي أبو بكر أن: "**شعوب العالم العربي المعاصر تعيش على التراث وهو مخزون نفسي حالّ في نفوس أبنائها يؤثر فيهم شعورياً ولا شعورياً**"[5]

مقابل ذلك ثمّة اتجاه آخر يسعى لتجاوز الماضي لاعتقاده بأن التمسّك الأعمى به يقود إلى التخلف والتعصب، ويرى أنصار هذا الاتجاه أنّه لكي يتحول الفكر الفلسفي إلى فكرٍ منتجٍ مبدعٍ، ويسير ضمن عجلة التطور لا خارجاً عنها، عليه السير على خُطى النهضة الأوروبية أيّ؛ محاولة قطع الصلة مع الماضي، واستعارة التجارب الغربية، وإسقاطها في العالم العربي بحجّة أنّها الأفضل وتصلح لكافة المجتمعات، لتتحول إلى ركيزة أساسية يصفها المفكر المصري حسن حنفي بالموروث الثقافي وقال ذلك صراحةً في كتابه حصار الزمن الحاضر (إشكالات) أنّ: "**التراث الغربي بدأ يتحول من وافد غربي إلى موروث ثقافي جديد منذ مائتي عام، يزاحم الموروث الثقافي القديم، ويخلق ظاهرة ازدواجية الثقافة**" [6]، وهنا نجد أنّه لا بدّ من الأخذ بالحسبان الفرق ما بين ماضي الحضارة العربية وماضي الحضارة الأوروبية حيث أن الفكر في تلك الأخيرة اتّسم بالتّحجّر والظلام حتى سُمّي العصر الوسيط الأوروبي بعصر الظلام؛ إذ لم يكن قادراً وفي مختلف جوانبه على النهوض أو الولوج في الفكر الحرّ دون هدم كل ما هو سائد، وإعادة بناء الأفكار والمعارف التنويرية وفق تيارات فلسفيّة وفكريّة عقليّة تنويريّة تتطلع نحو المستقبل وفق شروط الإبداع، بيد أن ماضي الفكر العربي يذخر بالثقافة والجوانب المشرقة التي طالما عبّرت عن حضارة الأمة العربية في أوجِ ازدهارِها وتطوّرِها.

وإن ما يبرز من انقسام في أبحاث المفكرين العرب ضمن ثنائيات التراث والمعاصرة، القديم والحديث، وبين تمجيد الماضي ونقله كما هو لتطبيقه في المستقبل والرِهان عليه؛ وبين هدم ذلك الماضي وإعادة التطلع نحو مستقبل لا ماضي له، يوحي بشيء من التناقض قد ذكره صراحةً المفكر العربي محمد عابد الجابري عندما قال في كتاب الخطاب العربي المعاصر وبلغةٍ حاسمة واضحة وصريحة أن: "**التناقض بين الطابع العقلاني للأهداف والطابع اللاعقلاني للتفكير هو السمة البارزة في الخطاب الفلسفي العربي المعاصر**" [7]. لغةٌ وإن وُسِمَت بطابعٍ من الحدّة والقسوة في وصفها للتفكير العربي؛ إلا أنها توضّح التشتت في إنتاجات الفكر العربي الراهن بسبب عدم قدرته على المواءمة بين الأهداف المرجوّة وطريقة الوصول لها وتحقيقها واقعياً.

---

[4] **المرزوقي، أبو يعرب؛ وتيزيني، الطيب: آفاق فلسفية عربية ومعاصرة، مرجع سابق، ص 139**

[5] **جيلالي، أبو بكر: التراث والتجديد بين قيم الماضي ورهانات الحاضر، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص 175.**

[6] **حنفي، حسن: حصار الزمن الحاضر (إشكالات)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2004، ص241.**

[7] **الجابري، محمد عابد: الخطاب العربي المعاصر_ دراسة نقدية تحليلية، دار الطليعة، بيروت،1982، ص174.**

علاوةً على ذلك؛ تجدر الإشارة إلى أن هناك عوامل عدة تُعيق سَير الإبداع، وتقيّد المفكر العربي، كغياب الحريّة الفكريّة التي تشهدها المجتمعات العربية بشكل عام والمجتمعات العربية الإسلامية بشكل أكثر خصوصية، والتي ظهرت منذ بدايات علم الكلام وما أنتجه من خلافات بين الفِرق التي تقول بحرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله وأفكاره وما يقوم به (كالمعتزلة)، وبين غيرها من الفِرق الأخرى التي ادّعت بجبرية الإنسان وعدم قدرته على الاختيار والإبداع، وبالتالي إن ارتباط الدين بالفكر بشكل أساسي؛ جعله فكراً عقيماً، وبأفضل الأحوال منتجاً لأفكار هامشيّة غير قادرة على الإبداع، أو تكوين بنية فكرية صلبة، لاصطدامها بالشروط الدينية التي تجعل الفكر مسجوناً داخل إطار نظري مقيّد ومغلق على أفكاره، وأيّة محاولة للخروج من ذلك الإطار ستواجَه بالرفض والعنف، وفي هذا الصدد يقول ماجد موريس إبراهيم في كتابه "سيكولوجية القهر والإبداع" أن: "**المجتمع في سبيل الحفاظ على حالة السكون والتماسك، يبادر برفض أو نبذ الأفكار الجديدة، وكلما كانت الفكرة عميقة المعنى بالغة الجدة، كلما كان رد فعل المجتمع أكثر شراسة**"[8]

الأمر الذي يفضي إلى الشعور بنوع من الدونيّة بما ينتجه الفكر الفلسفي في المجتمعات العربية، مقارنةً بطروحات الفكر العالمي المعاصر وما يبحث به من موضوعات مُعاصرة ترتبط بالواقع بشكل أساسي، وتسعى نحو تطويره في مجالاته المختلفة. ذلك الشعور يتبدّى نتيجةً لتقييد الفكر وإنتاجاته بالدين، وبالمسلّمات المقدّسة التي ذخرت بها الحضارة العربية في بداية الإسلام، مما يولّد نوعاً من العجز، والشعور بالدونية تجاه أفكاره المطروحة مقارنةً بإبداع الآخرين، فتفقد الذات العربية الثّقة بما تنتجه من أفكار، وهذا ما يشير إليه البريدي عندما يوضح كيف يتم جَلد العقل العربي عندما تُعزى الأفكار النيّرة للغرب وللتيارات الوافدة، حيث يقول في كتاب "السلفية والليبراالية": "**تدلنا النتائج العلمية على أن المجتمعات الأقل تقدماً تعزوا السمات السلبية لنفسها، في حين تقرن السمات الإيجابية بالدول المتقدمة**"[9]

وبذلك يتجه الفكر الفلسفي العربي نحو تقليد الأفكار الغريبة، والغربية بشكل حرفي شيئاً فشيئاً حتى تبدأ ملكاتنا الفكرية من الإبداع، والنقد، والابتكار في الاضمحلال والاندثار.

ثالثاً: كيفية النهوض بالفكر الفلسفي العربي المعاصر

يقيناً منّا أنّ الإشكالية التي نعانيها اليوم في واقع الفكر العربي المعاصر ليست متأصّلة فيه؛ بل عارض عليه وينبغي تجاوزها، هنا نتساءَل بداهة؛ عن السبيل للخروج مما نحن فيه والولوج إلى مكانة فكرية وفلسفية وثقافية وحضارية للعرب في العالم المعاصر؟

العمل على إعادة بناء حضارة فكرية غنية مع ضرورة التأكيد على حضور الوعي التاريخي للمراحل المختلفة، في خضم عملية الإنتاج الفلسفي وفق خصوصية الشروط التاريخية المعاصرة التي تؤطر ذلك الفكر، هو من أهم عوامل النهوض بالفكر، وهذا ما يشير إليه العروي في كتابه "العرب والفكر التاريخي" حين يؤكد على أهمية التاريخ وضرورة الرجوع للفكر التاريخي وفق شروط واضحة؛ _ بكون الدعوة إلى الماضي وتبنيه بكل ما فيه من جهة، والابتعاد عنه ومحاولة قتل الموروث الماضي من جهةٍ أخرى هما من أسباب الواقع الفكري العربي المأزوم على حد سواء _، وفي هذا السياق يقول العروي أن: "**الفكر التاريخي هو الفكر الذي يحرر المرء من الأوهام ويوجهه نحو الواقع**

[8] **إبراهيم، ماجد موريس، سيكولوجية القهر والإبداع، دار الفارابي، بيروت، 1999، ص55.**

[9] **البريدي، عبد الله: السلفية والليبرالية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ص120.**

والإنجاز"[10]، وهنا نرى أنّه من الواجب توظيف ذلك الوعي في العمل على اجتثاث الحواجز التي تحجب الفكر الموضوعي والعقلاني، وتوجيه العقل العربي نحو أنماط سليمة من التفكير قادرة على إصلاح الواقع بدايةً والانطلاق منه نحو مستقبل فلسفي نقدي وفكري سليم.

إحدى الميزات التي يجب توفرها في الفكر العربي اليوم أيضاً؛ هي القدرة على إثارة الحوار وشحذ العقول المنطقية، وتفعيل دور الوعي الفكري للإحاطة بما يمرّ فيه واقع الفكر الفلسفي اليوم، وكل ذلك وفقاً لمنهج واضح المعالم وضّحه الطيب تيزيني _في كتابه "على طريق الوضوح المنهجي"_ عندما يصف العقليّة التي يجب أن يكون عليها الفكر العربي المعاصر بكونها؛ "**تسقاً منهجياً من شأنه أن يضبط العلاقة بين الفكر والواقع في احتمالاتها وآفاقها المتعددة المتنوعة أولاً، وبين الفكر ونفسه ثانياً**" [11]بمعنى ضرورة إيجاد منهجيّة واضحة تُستخدم في تشخيص وتحليل الأَزمة، ومن ثم للوصول إلى أنماط تتوافق وتطلعات الأمة العربية فكراً ووعياً، وقد أفرز عبدالله البريدي في كتابه السلفية والليبرالية مستوىً خاصّ للمفكرين ذوي المنهج المحدد الذين يسعون في أبحاثهم لإظهار طريقة التعاطي مع الأَزمة، وكيفية التفكير بها وقال في ذلك: "**يهتم الأكاديميون والباحثون بالمنهجية العلمية باعتبارها الوسيلة التي تحكم وتقود عملية التفكير التي يستخدمونها أثناء تشخيص وتحليل المشكلة وتحديد أسبابها ومن ثم إيجاد الحلول المناسبة لها**"[12]، وبالتالي وجوب الاتجاه نحو الطريقة العلمية؛ البعيدة عن تقلبات الفئات السلطوية في المجتمعات العربية باختلاف توجهاتها الدينية والاجتماعية والسياسية، بنحو يجعل الإنتاجات الفكرية أكثر صرامة وثباتاً في طرح موضوعاتها، بما يضمن لها النظرة الحيادية التي لطالما تمتعت بها الموضوعات العلمية والتي أدت بها إلى التطورات المتسارعة على حساب النظرة القمعية التي تتعرض لها العلوم الإنسانية باختلاف مباحثها.

ومما تم ذكره لا بدّ من الإشارة أيضاً إلى مفهوم التسامح لطالما اتّسمت به كتابات المفكر المصري سلامة موسى والذي أكّد عليه في كل معرِض، وفي العديد من مؤلفاته، كما في كتاب "اليوم والغد" عندما قال أن : "**الشرط الأساسي للحضارة هو التسامح، فما لم يرضَ الناس بأن يسمعوا الآراء المخالفة لهم،....، لما تقدموا ولما ارتقت الأمم**" [13]إذ لا تقدّم بلا حريّة للفكر ولا تقدّم بلا التسامح، الذي يُحدَّد بكونه شرط أساسي من شروط تقدم الحضارات في المجتمع وذلك كي يتثنى للأفراد التمتع بالحرية الفكرية وتطبيقها في المجتمع دون الخوف من طرح الأفكار المنطقيّة والعقلانيّة المخالفة لما هو سائد كنصّ مقدّس، وقال ذلك صراحة في كتابه "حرية الفكر وأبطالها في التاريخ": "**إنما استقر المفكرون على ضرورة الحرية الفكرية، وعلى ضرورة التسامح فيما يحدث منها من الأضرار ما دامت هذه الأضرار غير فادحة، لأنه ثبت أن هناك آراء منع الناس من القول بها كانت صحيحة**"[14] لذلك أكد موسى وفي مواضع عدة على ضرورة تقبل الآراء الجديدة وما يدلي به المفكرون بشيء من التسامح، ولتكن الذات ممتلئة بالطاقات ثم لندخل في حوار مع الاخر، كي يتثنّى لحريّة الفكر أن تتسرّب إلى الدّين والعلوم الإنسانية والأدبيّة والفكريّة كما تسلّلت لباقي العلوم الطبيعية والرياضية.

---

[10] **العروي، عبد الله: العرب والفكر التاريخي، مرجع سابق، ص207**

[11] **تيزيني، الطيب: على طريق الوضوح المنهجي كتابات في الفلسفة والفكر العربي، مرجع سابق، ص27.**

[12] **البريدي، عبد الله: السلفية والليبرالية، مرجع سابق، ص157**

[13] **موسى، سلامة: اليوم والغد، مؤسسة هنداوي سي آي سي، القاهرة، 2017، ص51.**

[14] **موسى، سلامة: حرية الفكر وأبطالها في التاريخ، مؤسسة هنداوي للتعليم والقافة، القاهرة،2012، ص160.**

خاتمة:

يخلص البحث إلى الأخذ بالأسباب التي أنتجت أزمة على مستوى التفكير الفلسفي في المجتمعات العربية، مع الإيمان باعتبارات العقل العربي القادرة على الإبداع، وتلافي عثرات الواقع، بالإشارة إلى مكامن الضعف، والنقاط الهشّة التي تُخلخل بنيان الفكر، وتجعل من أزمته تتفاقم، والانطلاق منها نحو بناء جيل عقلاني منظم.

فالحديث عن أَزَمة لا يجب أن يخلق شعوراً بالعجز، بل يخلق تحدّياً أمام الفكر العربي اليوم، وجرأة في الإقدام على تجاوز ما يتعرض له، فهو أحوج من أي وقت مضى لوجود فكر ديناميكي حقيقي قادر على التطور، وعلى المفكرين والمثقفين الحقيقيين، يقع الدور الأكبر والمسؤولية في اجتثاث الأفكار الرجعية والتعصّب الذي أفرزته العقود الأخيرة في مجتمعاتنا، تجدر الإشارة أيضاً إلى ضرورة تفعيل دور الفلسفة اليوم والنظر إليها بكونها تفكيراً نحو المستقبل، عبر محاكاة الواقع بدايةً والعمل على تطويره وتحديثه وتغيير كل ما يشوبه من تخلف فكري وعقائدي، بما يضمن للعقل العربي امتلاكه ما يكفي من القوة الفكرية لإعادة بناء فلسفة عربية معاصرة، تتميّز بنوع من الخصوصية التي تميّزها عن الفلسفات الغربية، لهم الحق، ولنا الحق في إبراز طابع الهوية المجتمعية من خلال الأفكار المنتَجة التي يتم البحث فيها وتقديمها.

Reference:

1. Al- JABIRE. M. A. *Contemporary Arab Discourse - An Analytical Critical Study*, Dar Al-Tali'a, Beirut, 1982.
2. Al-BREIDI. A. *Salafism and Liberalism*, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 2008.
3. Al-MARZOUKI. A, TEZENE. T. *Arab and Contemporary Philosophical Perspectives*, Dar Al-Fikr, Damascus, 2001.
4. Al-ORAWE. A. *Arabs and Historical Thought*, The Arab Cultural Center, Casablanca, 2006, fifth edition.
5. EBRAHEM. M.M. *The Psychology of Oppression and Creativity*, Dar Al-Farabi, Beirut, 1999.
6. HANAFI. H. *The Siege of the Present Time (Problems),* Al-Kitab Center for Publishing, Cairo, 2004.
7. JELALI. A. *Heritage and renewal between the values of the past and the stakes of the present*, The Modern World of Books, Jordan, 2011.
8. MOUSSA. S. *Freedom of Thought and Its Heroes in History*, Hendawi Foundation for Education and Culture, Cairo, 2012.
9. MOUSSA. S. *Today and Tomorrow*, Hendawy CIC Foundation, Cairo, 2017
10. TEZENE. T. *On the Path of Systematic Clarity: Writings in Philosophy and Arab Thought*, Dar Al-Farabi, Beirut, 1989.